تضاعف مخاطر الحج بسبب ارتفاع درجات الحرارة والساعون وراء الربح



عزت صحيفة "نيويورك تايمز" الأمريكية، تضاعف مخاطر الحج إلى ارتفاع درجات الحرارة في السعودية وتأثيرات الساعون وراء الربح.

ونشرت الصحيفة تقريرا تناولت قصة هدى عمري التي جلست أمام مكتب أحد السماسرة في الأردن لمدة يومين في انتظار الحصول على تأشيرة الحج، أو الحج السنوي إلى السعودية.

وفي مصر، قام أبناء ماجدة موسى الثلاثة بتجميع مواردهم لجمع ما يقرب من 9,000 دولار أمريكي لتحقيق حلم مرافقة والدتهم إلى الحج. وعندما حصلت على الضوء الأخضر للرحلة، كما قالت، أطلق أقاربها وجيرانها في قريتها الزغاريد احتفالاً.

وقال التقرير إن رحلة الحج التي تستغرق أيامًا هي رحلة روحانية عميقة ورحلة شاقة في أفضل الظروف.

لكن هذا العام، ووسط حرارة قياسية لم ينج ما لا يقل عن 1300 حاج من الحج، وقالت السلطات السعودية

إن أكثر من 80 في المئة من القتلى كانوا من الحجاج الذين لم يحصلوا على تصاريح.

وكانت السيدة عمري والسيدة موسى من بين عدد كبير من الحجاج غير المسجلين الذين اعتمدوا على شركات سياحية غير مشروعة أو احتيالية للالتفاف على عملية التصاريح الرسمية.

وقالت كلتاهما إنهما كانتا على علم بأن الرحلة التي لا تتكرر إلا مرة واحدة في العمر ستكون مرهقة جسدياً وماليا ً، لكن لم تتوقع أي منهما الحرارة الشديدة أو سوء المعاملة التي ستواجهانها.

وقالت السيدة عمري البالغة من العمر 51 عامًا لصحيفة نيويورك تايمز بعد عودتها إلى الوطن: "لقد تعرضنا للإذلال والعقاب بسبب وجودنا هناك بشكل غير قانوني".

مع مشاركة ما يقرب من مليوني شخص كل عام، ليس من غير المعتاد أن يموت الحجاج من الإجهاد الحراري أو المرض أو الأمراض المزمنة أثناء الحج.

ومن غير الواضح ما إذا كانت حصيلة هذا العام أعلى من المعتاد لأن السعودية لا تعلن عن الأرقام بانتظام.

وفي العام الماضي، توفي 774 حاجاً من إندونيسيا وحدها، وفي عام 1985 توفي أكثر من 1700 شخص في المشاعر المقدسة، معظمهم بسبب الإجهاد الحراري، حسبما وجدت دراسة في ذلك الوقت.

لكن وفيات هذا العام لفتت الانتباه إلى الخبايا المقلقة لصناعة تستفيد من الحجاج الذين غالباً ما يقضون سنوات في الادخار لإتمام أحد أهم الشعائر الإسلامية.

للسيطرة على تدفق الزوار وتجنب المآسي مثل التدافع في عام 2015، سعت الحكومة السعودية إلى تسجيل الحجاج. ويجب على أولئك الذين يتم تسجيلهم أن يشتروا باقة سفر معتمدة من الحكومة والتي أصبحت باهظة الثمن بالنسبة للكثيرين.

أما أولئك الذين يدخلون بأنواع أخرى من تأشيرات الزيارة فيواجهون صعوبة في الوصول إلى تدابير السلامة التي وضعتها السلطات.

لذا، فإن الإمكانيات المالية للحجاج تحدد الظروف والمعاملة التي يتعرضون لها، بما في ذلك حمايتهم من – أو تعرضهم – لحرارة الخليج المتزايدة الخطورة والشديدة.

ويقيم الحجاج المسجلون في فنادق في مكة المكرمة أو في منى، وهي مدينة من الخيام البيضاء التي تتسع لثلاثة ملايين حاج، وتوفر لهم حمامات ومطابخ ومكيفات هواء.

كما يتم نقلهم بين المشاعر المقدسة مما يقيهم من أشعة الشمس الحارقة.

أما غير المسجلين في مكة المكرمة، فقد وجدوا أنفسهم محشورين في شقق في منطقة جنوبية أصبحت رائجة لدى سماسرة السفر، بحسب بعض من ذهبوا إليها.

وخلال الأشهر المحيطة بالمناسك، يقوم هؤلاء السماسرة بتأجير مبانٍ بأكملها وتعبئتها بالحجاج.

ومع ذلك، لا يزال الكثيرون غير راضين. ومع عودة الحجاج إلى بلدانهم، تظهر صورة أوضح للظروف التي عانوا منها.

بالتعاون مع السلطات السعودية، حدد الأردن عدد الأشخاص المسموح لهم بالمشاركة في الحج سنوياً.

وقالت السلطات الأردنية الأسبوع الماضي إنها اعتقلت 54 شخصًا وأغلقت ثلاث وكالات سفر بعد وفاة 99 أردنيًا أثناء الحج.

وتعيش السيدة عمري في إربد، ثاني أكبر المدن الأردنية، حيث قالت إنها تبيع التوابل لكسب المال الإضافي.

وقد جمعت 140 دينار أردني، أي ما يقارب 200 دولار أمريكي، للحصول على تأشيرة تسمح للمسلمين بزيارة الأماكن المقدسة في السعودية ولكنها تستثنيهم من الحج.

وإجمالاً، دفعت السيدة العمري 2000 دينار (أكثر من 2800 دولار أمريكي) مقابل حزمة شملت السفر والتأمين والإقامة.

وقالت إنه على الرغم من أنه "ليس مبلغًا بسيطًا"، إلا أنه لا يزال نصف تكلفة باقة الحج الرسمية.

ربما كانت مصر، حيث أدى ارتفاع التضخم وضعف العملة إلى جعل الحج بعيدًا عن متناول الكثيرين، ربما يكون عدد الوفيات هذا العام هو الأعلى، لكن السلطات هناك لم تؤكد الحصيلة.

وقد أغلق المسؤولون المصريون مؤخرًا 16 شركة سياحة واعتقلوا اثنين من سماسرة السفر ووجهوا لهم اتهامات.

ولطالما حلم أبناء ماجدة موسى الثلاثة باصطحابها إلى الحج، وكان هذا هو العام الذي سيتحقق فيه هذا الحلم. سيكلفهم ذلك 120 ألف جنيه مصري (حوالي 2500 دولار أمريكي) لرحلتها وحدها، وسيرافقونها هم بـ 100 ألف جنيه مصري لكل منهم. ومع ذلك، كانت التكلفة أقل بكثير من الحزمة الرسمية.

عندما حصلت ماجدة موسى، وهي جدة أرملة كانت تعمل فنية اتصالات، على تأشيرة السفر، احتفلت عائلتها وجيرانها في قرية البحادة، بالقرب من العاصمة القاهرة، بحظها السعيد.

والحج هو أحد أركان الإسلام الخمسة، ويرجع تاريخه إلى قرون مضت عندما سار الحجاج لأول مرة على خطى الأنبياء. ويلتزم جميع المسلمين القادرين بدنيًا وماليًا بأدائه مرة واحدة على الأقل.

واليوم، هناك باقات متدرجة للزائرين المسجلين في الحج، وهناك فجوة تتسع بين القادرين على تحمل تكاليف هذه الباقات وغير المسجلين الذين لا يستطيعون.

وعندما وصلت السيدة عمري قالت إنه عندما وصلت إلى هناك، خُصصت لها غرفة في مبنى بالكاد يعمل فيه التكييف. وقالت: "شعرت أن الغرف كانت تحترق".

لذلك أنفقت المزيد من المال في فندق لائق، حيث شاركت غرفة مع نساء من بلدتها.

كانت السيدة موسى أكثر حظًا: فقد دفع أبناؤها مئات الدولارات مقابل حصولها على سرير في غرفة في الفندق مع ثلاث نساء أخريات، بينما أنفق الأبناء أكثر من 200 دولار للنوم على فراش على الأرض في مبنى آخر، في غرفة مكتظة بثمانية رجال.

تتكدس حشود من الناس في شوارع عريضة مسوّرة تتخللها شوارع المدينة.

قام المسؤولون السعوديون بإبعاد ما لا يقل عن 300 ألف حاج غير مسجل من مكة المكرمة حتى قبل بدء الحج، وأرسلوا العديد ممن لا يحملون وثائق سليمة إلى مدينة جدة الساحلية التي تبعد أكثر من 40 ميلاً، وفقاً لوسائل الإعلام السعودية الرسمية. وتم ترحيل آخرين.

وقال شهود عيان إنه مع اقتراب موعد الحج، تكثفت مداهمات الشرطة. "نحن حجاج. نحن مسلمون". "لسنا هنا لنفتعل المشاكل".

وقال الشهود إن السماسرة المذعورين الذين يخشون الاعتقال قطعوا الكهرباء أو فصلوا خدمة الإنترنت في بعض المباني لتبدو غير مأهولة. حتى أن البعض أغلقوا بوابات المباني بالسلاسل لإبقاء الحجاج في الداخل والشرطة في الخارج.

فيما قال أحمد ممدوح مسعود، أحد أبناء السيدة موسى: "في كثير من الأحيان شعرنا بأننا مسجونون". وقال إنه كان يسافر كحاج غير مسجل من قبل. ولكن هذا العام، شعر بأنه غير مرحب به للغاية.

وقال واصفًا التواجد المكثف للشرطة وعشرات نقاط التفتيش والتفتيش العشوائي: "لم أرَ شيئًا سيئًا مثل هذه المرة".

قالت السيدة موسى إن عائلتها كانت تعيش على الطعام المعلب الذي أحضرته من مصر أثناء الحج، وبدافع الخوف، كانت العائلة تغامر بالخروج فقط لشراء اللبن والتمر من مكة المكرمة.

أما السيدة عمري، التي وصلت قبل شهر تقريبًا من بدء الحج في منتصف يونيو الماضي، فقد بقيت في الغرفة التي تتشاركها مع أربع نساء أخريات، ولم تغادر إلا لأداء المناسك الدينية.

وقالت: "نحن نعلم أننا لا نذهب إلا مرة واحدة في العمر، وهذه هي المرة الوحيدة التي نذهب فيها".

وفي عشية يوم عرفة، وهو اليوم الذي يتجمع فيه الحجاج بالقرب من جبل عرفات كأحد مناسك الحج، لم تستطع أي سيارة أو حافلة أن تقلها لأنها لم تكن تحمل التصريح المناسب، على حد قول السيدة عمري.

لذلك سارت 12 ميلاً للوصول إلى سهل عرفات تحت أشعة الشمس الحارقة والرطوبة الخانقة. تجاوزت درجات الحرارة 120 درجة مئوية خلال فترة الحج.

وقالت: "كان الأمر أشبه بالنار من السماء وتحت قدميك".

وذكرت السيدة موسى إنها حاولت ركوب الحافلة، لكن ضابط شرطة سعودي طلب منها ومن النساء اللاتي كانت بصحبتها تصاريح الحج. هددهم الضابط بإنهاء حجهم، الذي اقترب من ذروته، إذا لم يتمكنوا من استخراج التصاريح.

وقالت: "بعد كل تلك السنوات التي تمنيت فيها هذا اليوم، يريدون الآن منعنا؟

قالت السيدة موسى، التي تألمت من هذه المعاملة، إنها خرجت من الحافلة بهدوء من الباب الخلفي. حزمت أغراضها ووضعتها على رأسها ثم بدأت في المشي. توقفت فقط للصلاة أو للسؤال عن الاتجاهات، وسارت خلال الليل.

وأضافت "كنت أرتدي خفًا بلاستيكيًا، وبحلول الوقت الذي وصلت فيه، كان النعلان قد تآكلا لدرجة أنني شعرت وكأنني لا أرتدي شيئًا في قدمي".

وقالت إنها أثناء سيرها، كان الحجاج في الحافلات المكيفة يحدقون بها وهي تعرج على طول الطريق. التقط أحدهم مقطع فيديو لها انتشر على نطاق واسع في مصر.

وصلت عائلتا المرأتين إلى صعيد عرفات، لكن مسيرة العودة كشفت مأساة الموقف.

قالت السيدة موسى: "كان هناك من هم أصغر مني سنًا يرقدون موتى". "كان الأمر مفجعًا".